

# البخاري

□□ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري من الأئمة الأعلام . والرجال العظام في تاريخنا ، وتراثنا ، وحضارتنا . ويكفيه فخراً أنه وضع الجامع الصحيح لحديث رسول الله ﷺ ، وهو الكتاب المعتمد المجمع عليه بعد القرآن الكريم . وقد قضى الإمام البخاري حياته كلها ( ١٧ شوال ١٩٤ هـ - ليلة عيد الفطر ٢٥٦ هـ ) . وهو يذب عن أحاديث رسول الله ﷺ ، ويضع أمثن القواعد للتثبت والتحقيق . والجرح والتعديل ، مما كان له شأن عظيم في تقديم علوم الحديث والتاريخ في آن معاً .

والحقيقة المرة التي نسجلها هنا : أن المسلمين لم يكرموا هذا الرجل الفذ . وهذا الفقيه المجد ، كما ينبغي . اللهم إلا إجماعهم على صحبه . وإجلاله المكانة اللائقة به بعد القرآن الكريم . غير أنه من الواجب والمفيد أن ننفض الغبار عن حياة هذا العالم وفقهه . فلو كان مثله في حضرات الآخرين لأشبعوا المكتبات عنه مجلدات ضخاماً . ولأقاموا له الذكريات والمؤسسات والمؤتمرات □□

أستاذ الأساتذة وسيد المحدثين . وطبيب الحديث في عله  
( أشهد أن ليس في الدنيا مثلك )

## الإمام مسلم

الروسية في آسيا الوسطى ، وبخاري أعظم مدن ما وراء النهر - نهر جيحون - تبعد نحواً من ثلاثمائة كيلومتراً عن سمرقند من بلاد فارس ، وإليها ينسب الإمام المحدث محمد بن إسماعيل ، فعظمت به وخلد اسمها باقتران اسمه بها .

### والسنة ...

وكان إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، والد البخاري ، من العلماء الأبرار ، والرواة الأبطال ، واشتغل بالحديث فحدث عن جماعة ، وروى عن جمع من العراقيين ، وكان ثقة بين المحدثين ، ترجم له ابن حبان في كتاب « الثقات » والتقى بالإمام مالك بن أنس إمام المدينة المنورة .

ذكر صاحب سير الأعلام النبلاء ، ابن السبكي في طبقاته الكبرى ، أنه لما أدركته المنية ، قال ( لا أعلم في جميع مالي درهماً من شبهة فتصاغر إلي نفسي ) ، وكان قد أنعم الله عليه بثناء عريض .

### البخاري في مولده وطفولته . . .

ولد محمد بن إسماعيل في بخاري يوم الجمعة ١٣ شوال ١٩٤

إن أمة الإسلام مدينة للبخاري بكثير من الفضائل والعلم والهدى . وكان حقاً عليها أن تعلم أجيالها في مدارسهم وجامعاتهم ومنتدياتهم من هو البخاري ، فعسى أن تكون ذكراه حافظاً للمسلمين على تحرير بخاري من رجس الشيوعية والماركسية . وإعادتها إلى أصلاتها الأولى . منارة مشرقة . منها وفيها حافظ السنة وحامي أحاديث النبي العظيم صل الله عليه وسلم . فقد قال فيه تلميذه الإمام مسلم صاحب الصحيح : ( لا يبغضك إلا حاسد . وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك ) . وجاء مرة ، فقبله بين عينيه . وقال : ( دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأساتذة ، وسيد المحدثين ، ويا طبيب الحديث في عله ) .

أما تلميذه الآخر الإمام الترمذي ، فقال : ( لم أر أحداً بالعراق ، ولا بخراسان في معنى العليل والتاريخ والأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل ) .

ونحن هنا في ذكراه الطيبة في مولده ووفاته المتقاربتين نقدم صوراً من حياة هذا المحدث الكبير ، ونماذج من علمه وفضله التي امتلأت بها كتب الحديث والتاريخ فنقول :

### بخاري . . .

تقع مدينة بخاري في ولاية أوزبكستان ، وهي من المستعمرات

ما تعثروا به ، ولستمع إليه بجدتنا عن نفسه ، قال : ( ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فاختلفت إلى الداخلي - اسم شيخه - وغيره فقال يوماً فيها كان يقرأ على الناس : ( عن سفيان بن أبي الزبير « المكي » عن ابراهيم « النخعي » فقلت له : يا أبا فلان ، إن أبا الزبير المكي لم يرو عن ابراهيم النخعي ، فانتهري ، فقلت له : ارجع إلى الأصل إن كان عندك !! فدخل ونظر فيه ثم خرج ، فقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير بن عدي عن ابراهيم !! فأخذ القلم وأحكم كتابه ، فقال : صدقت !! فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت إذ رددت عليه ؟ فقال : ابن إحدى عشرة !!

وحدثنا أحمد بن الحسن الرازي في « طبقات الشافعية » عن امتحان الذاكرة الذي أجري للبخاري من قبل علماء بغداد ، فقال : ( سمعت أبا أحمد بن عدي يقول : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد ، فسمع به أحد أصحاب الحديث ، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث ، فقبلوا متونها ، وأسألتها ، وجعلوا من متن هذا الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هذا المتن لمتن آخر ، ودفعوا إلى عشرة أنفس ، إلى كل رجل عشرة أحاديث ، وأمرهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري ، وأخذوا العدة للمجلس ، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من القرياء ، من أهل خراسان وغيرها ، ومن البغداديين ، فلما اطمان المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخاري : « لا أعرفه » فسأله عن آخر فقال : « لا أعرفه » فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه . فكان الفهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ، ثم انتدب آخر من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري : لا أعرفه ، فسأله عن آخر ، فقال : لا أعرفه ، فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد الآخر حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه ، ثم انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمام العشرة ، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة ، والبخاري لا يزيدهم على : لا أعرفه . فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا ، التفت إلى الأول منهم ، فقال : أما حديثك الأول ، فهو كذا والثاني فهو كذا . . . والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده ، وكل إسناد إلى متنه ، وفعل بالآخرين مثل ذلك ، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها ، وأسألتها إلى متونها ، فأقر له الناس بالحفظ ، وأذعنوا له بالفضل ) .

## منهج البخاري في الحديث

ومنذ نعومة أظفاره اتخذ لنفسه منهجاً في قبول الحديث وتمحيصه ، يقول سليم بن مجاهد كما ذكر ابن السبكي في طبقاته : كنت عند محمد بن سلام - شيخ الإمام البخاري - فقال : « لو جئت قبيل لرأيت صبيّاً كان ابن إحدى عشرة ، يحفظ سبعين ألف حديث ، فخرجت حتى لحقته ، فقلت له : أنت تحفظ سبعين ألف حديث ؟ فأجابته البخاري : نعم وأكثر ، ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة والتابعين إلا ولي من ذلك أصل أحفظه حفظاً من الكتاب أو السنة ) .

هجرية من أم نفية نفية ، شديدة الإيمان ، عابقة الروح ، ثم توفي والده إسماعيل تاركاً ولده محمداً طفلاً صغيراً ما لبث أن فقد بصره ، وأصيب بالعمى ، فأقبلت والدته المبرورة على صلاة متصلة ، وبكاء خاشع ، وابتهاج دامع ، فرأت ، فيها رواه ابن كثير في تاريخه « البداية والنهاية » والسبكي في « طبقاته » في منامها إبراهيم الخليل عليه السلام يقول لها : ( يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره لكثرة بكائك ودعائك ) فانتبهت من نومها لترى ابناً محمداً بصيراً معافى ، فوجهته إلى الكتاب ليسير على سير أبيه ، وقد توسمت فيه خيراً كثيراً ، فما أن بلغ العاشرة من عمره حتى أظم حفظ الحديث ، فعدا حفظ الحديث والشغوف به الصفة السائدة عنده .

وراح البخاري يتردد على أئمة الحديث في بلده والبلدان المحيطة بها حتى نبغ في الحديث ، فعرف أسانيد ومثونه ، وارتباط رجاله بها ، وأزخ لهم في موالدهم ووفاتهم وأحوالهم ومساكنهم حتى وضحت أمامه الطريق ، وزال عنه كل لبس وغموض ، فهابه شيوخه ، فقال شيخه محمد بن سلام الكندي : ( كلما دخل عليّ هذا الصبي تحيرت ، والتبس عليّ أمر الحديث ، ولا أزال خائفاً ) .

ولما بلغ من العمر ست عشرة سنة تأهب لتأدية فريضة الحج مع أمه وأخيه إلى مكة المكرمة ، وهناك اغتنمها فرصة ، فسمع من أئمة الحديث فيها فقرر البقاء في المدينة المنورة ، وعادت أمه مع أخيه أحمد إلى بخاري .

## كتابه في التاريخ

ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم كتابه العظيم في « تاريخ الثقة والضعفاء من الرواة » وحدث عن نفسه فقال : ( لما طعنت في ثمان عشرة سنة صُنفت قضايا الصحابة والتابعين ، ثم صنفت « التاريخ الكبير » في المدينة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، في الليالي المقمرة ، وكل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة ، إلا أني كرهت أن يطول ) .

ويقع هذا الكتاب في ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات ضخمة ، وقد ذكر فيه تراجم أكثر من أربعين ألفاً ، ما بين ثقة وضعيف ، ورجل وامرأة ، ورتبه على حروف المعجم ، إلا أنه بدأ باسم المحمدين من الرواة والرجال تبركاً بصاحب الاسم الأول عليه الصلاة والسلام . ولا ريب أن كتاباً ضخماً كهذا ، يكتبه الإمام البخاري ، في حداثة عمره ، دليل كبير على نبوغه ، وعلو كعبه في الحديث ومعرفة أحوال الرجال ، وبرهان قاضٍ في عبقريته ، وأنه نعمة مهداة من الله لحفظ حديث نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد ذهش بكتاب « التاريخ الكبير » الأئمة الأعلام في عصر البخاري ، حتى إن شيخه الإمام إسحاق بن راهويه حمل الكتاب ودخل به على الأمير عبد الله بن طاهر ، وقال له : ( أيها الأمير ألا أريك سحراً !؟ ) .

## ذاكرته وذكره

وكان البخاري رضي الله عنه منذ طفولته ، شديد الانتباه ، سريع الحفظ ، عديم النسيان ، حتى انه كان يصحح لاسانيدته ومشايخه

## مطلوب من وزارات الأوقاف

### إصدار موسوعة الإمام البخاري

- ٨ - بر الوالدين .
  - ٩ - التفسير الكبير للقرآن ، توجد نسخة منه في مكتبة الجزائر ، وأخرى في مكتبة باريس .
  - ١٠ - كتاب الوحدان ، وهو من ليس له إلا حديث واحد .
  - ١١ - قضايا الصحابة والتابعين .
  - ١٢ - كتاب الهبة ، وغيرها .
- ويا حبذا لو أن إحدى وزارات الأوقاف الإسلامية تتصدى لنشر ما لم ينشر من كتب البخاري ، وإعادة إصدار جميع مؤلفاته في موسوعة واحدة ، إذن لأغنت المكتبة الإسلامية ، ولوفينا بعض حق الرجل على أمة الإسلام ، وعممنا علمه وفقهه ، وكان موضع دراسة جدية من الدارسين .

#### من أخلاقه وجهاده ..

والبخاري المحدث المؤرخ الفقيه ، كان أيضاً محباً للجهاد ، فقد تدرب على آلات الحرب في زمانه ، وخاصة الرمي ( وكان فيه الممتاز على غيره بحيث لا يخطئ الهدف إذا رماه مرات عديدة ) ، وكان البخاري ينشد :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغنة  
كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلتنة  
وكان البخاري في رمضان يكثر من الصلاة وتلاوة القرآن وختمه ، حتى إنه كان يقرأ القرآن في السحر في كل ثلاث ليال . . .  
ومن نوادر الإمام البخاري التي تدل على شفاعته في نفسه ، وسمو في معاملته ، أنه وقد ملأ داره كتباً وصحفاً أقبلت عليه جاريته ، وأرادت دخول المنزل ، فعثرت بمحيرة بين يديه ، فقال لها - بانفعال وغضب - : كيف تمشين ؟ قالت : إذا لم يكن طريق ، كيف أمشي ؟ فسبط يديه وقال : اذهبي فقد أعتقتك . فقيل له - كما يرويه الصيارفي - يا أبا عبد الله أغضبتك ؟ فقال : أرضي نفسي بما فعلت ، أي : إنه لما أغضب الجارية بتأنيبه إيها ، وانفعاله إزاء خطأ لم تتعمده ، أدرك أنه لن يرتاح إلا أن يراها حرة في سبيل الله . .

#### وفاته ..

وفي قرية خرنك ، من قرى سمرقند ، وبعد اثنتين وستين سنة شعت بأنوار حديث رسول الله ، وبعد صلاة خاشعة ، وفي ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هجرية ردد الإمام البخاري بنفس متوهجة بالنور ( اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك ) فاستجاب الله له ، فكانت نهاية العالم المحدث الفقيه الذي قال فيه موسى بن هارون بغداد : ( عندي لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن إسماعيل آخر لما قدروا عليه ) وصدق من قال في كتاب بعثه إلى الإمام البخاري :

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تُفقد  
رضي الله عنه وأرضاه ، وجمعنا به في جنات النعيم مع النبيين  
والصديقين والشهداء .

ومن هذا نرى أن البخاري - حتى في صغره - كان يولي الحديث عناية فائقة من حيث السند والمتن ، ومن حيث الجرح والتعديل ، حتى إذا ما روى حديثاً موقوفاً ( الموقوف ما روي عن الصحابي ) أو مقطوعاً ( ما روي عن تابعي ) فإنه يستدل عليه بمعنى آية أو حديث صحيح . واشترط البخاري لصحة الحديث أن يكون متصل السند ، وتوفرت في رجاله العدالة والضبط واللقيا ، ولم يكن يكتفي خلافاً للإمام مسلم رضي الله عنها - بإمكان معاصرة الراوي لمثله - بل لا بد من اللقاء والتعبير عنه بقوله : سمعت ، وحدثني ، وأخبرني ، ومن هنا كان السند عند البخاري أقوى وأمتن .

#### الجامع الصحيح ..

واسمه الكامل : ( الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ) ، وكان قد عزم على إخراجه منذ أن سمع شيخه إسحاق بن راهويه يقول لتلامذته : ( لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ، فقال البخاري : ( فوقع ذلك على قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح ) ، وذلك عندما اكتمل نموه في علم الحديث ، وعندما شرح الله صدره برويته في منامه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يذب عنه بمروحة في يده ، فأوله له المسرون بأنه يذب الكذب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخرج صحيحه البالغ (٧٣٩٧) حديثاً بالمرور ، وبغيره (٢٦٠٣) من ستمائة ألف حديث ، وقد أمضى في تصنيفه ست عشرة سنة ، ويقول البخاري : ( صنفت الجامع الصحيح لست عشرة سنة ، خرجته من ستمائة ألف حديث ، وجعلته حجة بيني وبين الله عز وجل . . ) ( وما أدخلت فيه حديثاً إلا بعد ما استخرت الله تعالى ، وصليت ركعتين ، وتبقت صحته ) ، وقيل : إنه كان يغتسل ويصلي ركعتين عند وضع كل حديث .

وقد رتب الأحاديث حسب موضوعات الفقه والعلم ، وهذا يدل على اتساع بضاعه في أبواب الفقه ، وعمق نظره في الاستنباط والاستدلال .

وقد شرح الجامع بشروح عديدة بلغت اثنين وثمانين شرحاً ، أجملها وأوفرها « فتح الباري » لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني .

#### مؤلفات البخاري ..

وللبخاري ، سوى « الجامع الصحيح » و « التاريخ الكبير » المتقدم تعريفها ، مؤلفات أخرى نذكر منها :

- ١ - كتاب الضعفاء الصغير مرتب حسب حروف الهجاء .
- ٢ - كتاب الكنى ( لمن غلبت كنيته على اسمه من الرجال ) .
- ٣ - كتاب الأدب المفرد . . ذكر فيه البخاري جملة من الأحاديث النبوية في الأخلاق والمعاملات ابتداء بعد البسملة بباب قوله تعالى : **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا** . .
- ٤ - رفع اليدين في الصلاة .
- ٥ - خير الكلام في القراءة خلف الإمام .
- ٦ - التاريخ الأوسط .
- ٧ - كتاب الأشربة .